

EveryScreen.com

Book Series - Book No. III

'Net's First Ever Opinion Site in Arabic!

(Established in July 18, 1998)

About 2 million words of original and daring views

Dubbed by *Alexa* as the

'**Most Popular in Personal Multi-Issues Pages**'
in any Language on the Web

مدحت محفوظ

اللمبي

... ولماذا زلزل عروش المؤسسة الثقافية ؟



Medhat Mahfouz

Al-Lemby

...Why It Trembled the Cultural Establishment!

- ▶ **EveryScreen.com** Book Series - Book No. III
- ▶ Original entry: <http://everycreen.com/views/popart.htm#EgyptianMovies2002>
Date: Wednesday, August 7, 2002.

- ▶ This file: http://everycreen.com/views/pdf/EveryScreen.com_PopArt_AllEmby.pdf
Created: Friday, February 24, 2006.
This version's date: Monday, April 19, 2010.

- ▶ © 2002 - 2010 Medhat Mahfouz. All Rights Reserved.
- ▶ Reproduction, full or partial, in any form, printed or electronic, recent or future, is strictly forbidden without a thorough written permission from the author.
- ▶ Production of electronic edition: Author's Office (*MSoft*)

For Best Printing Results:

I) **Print on both sides:**

Step 1: Select even range of pages, e.g. 1 to 50, or the whole document (which we adjusted to end with even page number).

Step 2: Print 'Odd pages only.'

Step 3: Flip paper stack and print (for the same range, of course) 'Even pages only' with 'Reverse pages' option ticked.

II) Some PDF advanced printing options for older versions of Adobe Acrobat Reader:

'Print as image' may help avoiding some rare Arabic printing glitches, such as deflected display of the cashidas.



Succeeded in What Crusades Failed: Conquering Jerusalem, Now a Public Hero of Egyptian Cinema!

◀ ٧ أغسطس ٢٠٠٢ :

اكتملت اليوم صورة أفلام العام المصرية الكبيرة ، بعرض آخر ما تبقى من طابور أفلام الصيف الضخمة . غضب المثقفين صانعي أهم هذه الأفلام مما نحن فيه من تخلف ، هو الكلمة التي تلخص هذه الأفلام .

نصف الدقيقة الأولى من فيلم ' اللمى ' يساوى مائة فيلم مصرى كاملة ، أو لعله أعلى نقطة إطلاقاً في كل تاريخ الثقافة الناطقة بالعربية . البطل البلطجي السكير المعدم العاطل يترنح ليلاً في الشارع ويحاول تذكر كلمات أغنية ما . تخيل أية أغنية ؟ ' وقف الخلق ' ، وهو يقف عند هاتين الكلمتين ، ويتركنا نتخيل

أبجاد مصر التي تحدثنا عنها بقية الأغنية ، بينما هو نفسه لا يستطيع الوقوف على ساقية كما بقية ' الخلق ' أى البشرية ، التي تحاول الأغنية إفهامنا أنها متيمة انهارا بعظمة مصر . هذا ليس مستغرباً بالمرّة على المؤلف أحمد عبد الله ، بل وشخصية اللمى نفسها مستقاة من فيلم ' الناظر صلاح الدين ' (بذات الطريقة التي استقى بها فيلم الملك العقرب من أفلام المومياة !) . التناقض المحورى هنا كما في ' صلاح الدين ' ، الهوة بين الكلام والواقع .

هنا الأمور أوضح ، ليس من نصف الدقيقة الأولى بل من كل الفيلم . أسماء الشخصيات الثلاث الرئيسة هي إحالات أجنبية . اللمى اسم يشير للفيسكاونت الأول إدموند هنرى ألبيني (هل تخيل هذا الفيلد مارشال الإنجليزي يوماً أن اسمه سوف يصبح بعد قرن من الزمان عنواناً لأبجح فيلم مصرى في التاريخ !) ، هو القائد العسكرى الذى حقق ما فشلت فيه الحروب الصليبية وهو فتح القدس ، وهو صاحب كل الفتوحات البريطانية العظمى في الشرق

الأوسط في عشرينيات القرن العشرين ، بما فيها دحر الإمبراطورية العثمانية ، وهو المندوب السامى البريطانى الذى عين خصيصا للقضاء على هوجة الدهماء فى مصر المسماة ثورة ١٩١٩ (هل تعتقد للحظة أن أحمد عبد الله الذى استعرض عضلاته فى سرد كل التاريخ المصرى فى ' الناظر ' و'منظور فلسفى خاص كتاريخ قهر وتخلف ، قد اختار اسم اللبى فى سياق ذلك الفيلم عبثا ؟) . حسب الشخصية وكلمات الأغاني ، اللبى أو ألبينى كلاهما رمز للقوة والجرأة والاقترحام أيا ما كانت الصعوبة . الأدهى أنك لو سألت صناع اللبى لماذا اختاروا هذا الاسم بالتحديد رمزا لكل هذه الصفات الفذة ، على الأرجح ستكون إجابتهم نحن لم نختار شيئا ، الشعب المصرى هو الذى اختار . نعم ، الشعب المصرى المحب كأي شعب فى الدنيا للمستعمر المتقدم ، يسمى أبطاله بأسماء تعظيم مثل نابوليون واللبى ، ويسمى الثورات ضد هذا المستعمر بأسماء تحقير مثل هوجة عرابى وهوجة سعد !

ربما كل تاريخ السينما المصرية لا يقوى على منافسة نصف الدقيقة الأول من فيلم اللبى ، لكن هذه النكتة التى سمعتها من أحد الأصدقاء من مدينة العريش تستطيع :

نزل سائح من مطار وركب تاكسيا . انطلق التاكسى بسرعة هائلة فى طريق صلاح سالم . انزعج السائح وراح يستجدى السائق التهدئة ، رد السائق بثقة كبيرة مشيرا لنفسه لا تخف هذا Egyptian driver . بدأ الطريق يزدحم والسائق مصمم على مراوغة الجميع والانطلاق بأقصى سرعة . يزداد زعر السائح لكن الأول يطمئنه من جديد مشيرا لنفسه لا تخف هذا Egyptian driver . اقتربت إشارة حمراء والسيارة مندفعة تخرقها والسائح يرتعد بشدة والسائق يشير من جديد لنفسه لا تخف هذا Egyptian driver . الإشارة التالية كانت خضراء ، وهدوء أوقف السائق التاكسى . السائح يشير للضوء الأخضر ، ويسأله ما المشكلة ، تحرك ، إنها خضراء . يشير السائق للطريق العرضى ويقول Maybe another Egyptian driver is coming !

نعم ، وقف الخلق ، فهى ' مصر العظيمة ، مصر الهزيمة ' (عبارتنا المعهودة التى يبدو أنها وجدت أخيرا معادلا بصريا سينمائيا ما لها !) ، ' مصر أم الدنيا ، أم كل كوارث الدنيا ' ، أم كل أخطاء الدنيا ، بحيث ممارسة أى صواب فيها هو عين الخطأ . من هنا ، طبيعى للغاية أن يكون اسم أم اللبى



Allenby, France and Bach:
All the Western Civilization Is Here. Finally Nousa Will Revolt the Bars!

فرنسا . امرأة متوسطة العمر تجمع ما بين بقايا الجمال الحاسر والدلال وخفة الظل وأيضا التفكير المتفتح . وطبيعى أن يكون اسم صديقه هو باخ ، عازف الكمان الكلاسى ومع ذلك يسكن ذات الحى الفقير مصر القديمة ويسد ريقه بالكاد . عندما كان أحمد عبد الله يكتب لعلاء ولى الدين وشريف عرفة ، كانت الإحالات الأجنبية سهلة ولا حصر

لها ، بحكم شخصية البطل والمخرج معا . كانت الأغاني الأجنبية تملأ شريط الصوت ، والسلوكيات المتحررة تملأ الصورة والكلام ... إلخ . وقد كنت مشغفا للغاية كيف سيجعل أحمد عبد الله من اللمبي بطلا له ، وهو لا يرمز إلا لكل ما سفلى في المجتمع المصرى . لكن المعادلة نجحت نجاحا باهرا ، طبعا ليس فقط لتواجد الغرب وحضارته من خلال الأسماء . إنما أساسا لأن الشخصية رائعة في حد ذاتها . ومحمد سعد أداء كوميدى بدنى ومواقفى لا يشبه أحدا ولا يقدر بمال ، ومستوى من تقمص الشخصية الكوميديا لا نراه كل يوم (ربما منذ شاپلن وچيرى ليويس ، لم نره إلا فى جيم كارى) ، والمؤكد أنه يستحق هو وكتابه كل تذكرة حصداها فى شباك التذاكر .

الفيلم يحتفل بالخمير وبالرقص ، ويجد لهذا حلا ليقدمه بحب وحسية فى مشاهد الأوساط الراقية كما فى مشاهد البسطاء . الفيلم الذى بدأ محلقا مع ' وقف الخلق ' ، يغلق أيضا بسخرية مقذعة أخرى من أم كلثوم (ليست غريبة على أحمد عبد الله صاحب مهزلة -أو قل مذبحه- الشيخ الشعراوى الشهيرة فى مسرحية الأباندا) . يبدأ العريس اللمبي أغنية فلكلورية جدا عن الديوك والفراخ والكتاكيت ، لنكتشف بعد قليل أنها نفسها أغنية أم كلثوم ' حب إيه ؟ ' . الأغنية أصبحت هنا سوقية جدا ونوعا من الردح الرخيص ، والسبب بسيط جدا : أن الأصل نفسه سوقى جدا ونوع من الردح الرخيص ! (تنبهوا لهذا فى الأيام الأخيرة وأمرت الرقابة بحذف الأغنية من ألبوم الموسيقى ، ما لم يأت أصحاب الفيلم بموافقة أسرته أم كلثوم وبلوغ حمدى . قانونيا ودستوريا هذه محاكاة ساخرة ومن ثم فهى حرية تعبير مطلقة ، وليس من حق أحد التحفظ عليها . أو لعلهم نسوا أيام كان شكوكو يخرج بمحاكاة ساخرة لأم كلثوم فى خلال أسبوع على الأكثر من كل أغنية لها ، وكان له جمهوره الذى لا يقل بحال عن جمهور أم كلثوم ، لكنه جمهور منسى لا صوت له ولا يهتم به أحد من جهابذة النقد والفكر ، ولم يذهبوا قط لأفراحه وأعياد ميلاده ليعرفوا رأيه فى أم كلثوم وطبقة الأصنام برمتها . من نافلة القول أيضا إن حقوق نسخ أغنية محمد سعد ، كما الحال مع كل المحاكات الساخرة ، ترجع فقط لمؤلفيها الجدد ، وليس لأم كلثوم أو أى من جيلها السقيم المهزوم حق الاعتراض على شىء . الأهم من كل الأشياء أن الأغنية لا تنقطع الآن فى آذاننا ونحن نسير فى شوارع مصر ، وهى حقيقة أخرى تهدىها لمن لا يزالون يعبدون الأصنام !) . المهم ، كل التهاني لمن أبدعوا الأغنية ، جميعنا نحب أغنيتكم ، تماما كما أحب نجيب محفوظ أحمد عدوية (انظر خاتمة الدراسة الرئيسة أعلاه) . ليس كما يعتقد البعض ، نكايه فى أصنام الناصرية أو آلتها الإعلامية الجهنمية التى جعلت منهم آلهة رغما عنا ، إنما لأن أغنيتكم فى حد ذاتها فن مبدع خلاق واسع الخيال وتقدمى المحتوى ، ولأنها تحمل فعلا روح الاستنساخ الفلكلورى عند الطبقات المتواضعة فى الأفراح والموالد ... إلخ ، للأغاني الشهيرة من الفن الجماهيرى للطبقة الوسطى . عامة يفترض أن المحاكاة الساخرة هى نوع من الحب للأصل ، وإسماعيل ياسين غنى يوما ' حتى شلاضيمى التى ربيتها ' ، لكن رسالتكم وصلت وشكرا ، فهماها جميعا كما فهمها عبدة الأصنام وفهمتتها الرقابة .

أضيف : لستم وحدكم يا صناع اللمبي ! كلنا فى صباننا كنا ننظر ' لكوكب الشرق ' كمغنية سوقية أغلب الوقت ، رجعية بليدة ومتحجرة طوال الوقت . وكنا بفطرتنا لا نصدق ما تقوله عن الحب وهى نفسها لم تعرفه أبدا . الكل كان يعرف أن أم كلثوم ليست أكثر من مغنية ق . ع . ، قطاع عام يعنى ، مجرد سلعة أخرى من سلع بطاقة التموين الفاسدة المنتهية الصلاحية التى كان يوزعها عبد الناصر قسرا على الشعب ، وحتى لو كان

لديك نقود تكفى لشراء شىء أفضل فليس بوسعك ذلك لأن الزعيم الملهم أمم كل شىء ولم يكن يسمح سوى ببطاقات التموين التى كانت أم كلثوم أشهر وأفسد سلعها على وجه الإطلاق . للأسف هذا لا يزال مستمرا حتى اليوم فى إذاعة حلمى بكر ، أقصد إذاعة بطاقة التموين ، المسماة بإذاعة الأغاني ، مع فارق أن السوق مليئة الآن بالسلع ولا يوجد أحد مضطر لسماع تلك الإذاعة المثيرة للشفقة والتفرز معا . أما فيما يخص الأغنية التى سخرتم منها تحديدا فى الفيلم فقد كنت أنا شخصيا استخدمها فى صباى للسخرية من تلك المغنية البليدة الأحفورة فاسدة الصلاحية المسماة بـ ' الست ' ، وكنت أدفع قبضتى فى كتف أو صدر من يجوفها قائلا ' أم كلثوم إيه إالى أنت جاي تقول عليه ' ، ولم يكن يهزمنى سوى زميل اسمه محمد عبد النبى يستخدم ألفاظا أدبية رفيعة أفضل منى كأن يقول ' بنت الوسـ.. لغاية ما تقول يا مسهرنى يكون نص الجمهور نام ! ' .

الأسوأ أنه رغم أنها كانت الصنم الوحيد الرسمى بقرار جمهورى ، إلا أن الأمر لم يخل من خلق أصنام أخرى من كل لم يستطيعوا احتواءه كمحمد عبد الوهاب مثلا الذى حاصروه وأفرغوه قدر الإمكان من محتواه الحدائى . حتى الشباب الجيد حتى الروح نسبيا كعبد الحليم حافظ ، انتهى به الأمر فى مثل ذلك المناخ الاشتراكى الفقير ، وبعد رحيل رجيل الشعراء العظام من جيل ما قبل يوليو ، انتهى إلى تبنى وفرة من السوقية بالذات فى أغاني محمد حمزة الطويلة الأخيرة له ، ومع ذلك يهوى عبدة الأصنام تصنيفه هو الآخر . هنا أنتم تستحقون تحية مزدوجة لكونكم مبدعين بارعين ولكونكم من محطى الأصنام ، فى الواقع مسلسل التصنيف بالأوامر العليا لا يزال مستمرا لأن أولئك الكهنة من نوعية معدومى الموهبة كحلمى بكر لا يتعيشون إلا به . الآن هم يصنمون مثلا كلمات نزار قباني سواء التى يغنيها أو لا يغنيها كاظم الساهر . علما بأنه لا يوجد فى كل الأدب العربى ما يفوق أفكارها ذكورية وفضاظة وپارانويا ، ناهيك عن أنها بلا استثناء تتحدث عن الحب بلغة إدارة الأزمات أو بلغة أحمد سعيد فى إذاعة صوت العرب ، وتحتشد بكلمات تصلح فقط لمانشيتات الصحف الحزبية السرية أو صحف حزب البعث ، وليس بالمرءة للشعر العاطفى الوجدانى . وهى ألفاظ ومصطلحات يتحشاها حتى أصحاب الشعر التحريضى الملتهب أمثال محمود درويش الذى يكتب شعرا حقيقيا بغض النظر عن خطل فحواه (رأينا دوما أن نجاة هى التى ظفرت بالقصيدة أو اثنتين الجيدتين للسيد قباني ، وكانت بالمناسبة عن مشاعر المرأة وليس مشاعر سى السيد . أم كلثوم وعبد الحليم وفايزة قبلوا من بعد بما هو ' نص لبة ' ، أما المسكين كاظم الساهر فهو يرتع فى القمامة لا أكثر !) .

القومجيون العربجيون (كما تعلم !) أناس مرهفو الحس فهموا وترجموا الهجوم على أم كلثوم على كونه هجوما على عبد الناصر . بصراحة هم محقون تماما ! ما استفز كل المؤسسة الثقافية فى فيلم اللبى أنه أول هجوم مضاد من الثقافة الجماهيرية يفضح جهلهم وعجزهم ورجعية أفكارهم . هم اعتادوا على أن يهاجموا هم طوال الوقت ، ولا يهاجمهم أحد . الكل ينجلون أمام ' ثقافتهم ' ومزايدتهم . لذا فالهجوم عليهم هو تهديد ' للمؤسسة ' ككل يعطونها الضاربة وتعيشها من الإرهاب الفكرى لكل الناس ، ويزعزع ' ثوابتها ' (إن اردنا استعمال التعبير الأثير لبشار الأسد) العتيدة التى لا تلين مهما تغير العالم .

هم لم يروا أنفسهم فقط على شاشة اللبى ، فالأسوأ أن كثيرا من الأمور خارج الشاشة كانت مشخصة جدا ، والشخصنة هى الشىء الذى يصل لمداركهم المحدودة بأسرع طريق ممكن . نشوى مصطفى عضو -أو نحو ذلك- فى

حزب التجمع اليسارى ، والسخرية المباشرة من الراقصة المثقفة المتحلقة المناقفة فى التابع الأخير هى سخرية ليس من المثقفين كـمـثقفين فقط ، إنما من نشوى مصطفى شخصيا وبالتالى من حزب التجمع نفسه . الأسوأ ما حدث مع عبلة كامل وهى أحد الأركان الكبرى والعريقة فى ذات الحزب المذكور . لأول مرة تضحك وترقص وتغنى وتضع البسمة على شفاه الناس ، بعد أن اعتادوها محجبة متجهمة كئيبة فى بلاهات أسامة أنور عكاشة التليفزيونية ، وظيفتها أن تقطع الخميرة (من الخمر) من البيت وتجعلك تفكر فى التخلص من حياتك لأفها خميرة (من الخمار) . بالنسبة للتجمع وللناصرين معا ، الذين يعد السيد عكاشة بالأحرى أحد أهـتـهم ، فإن ظهور عبلة كامل بهذا الشكل الجماهيرى المحب هو سرقة واغتصاب لفنانة طالما احتسبوا ضلعا فى معسكرهم الظلامى ، وجريمة لا يمكن أن تغتفر للسيد أحمد عبد الله وشركاه . الأسوأ من هذا وذاك أم كلثوم طبعا ، وحدث ولا حرج فيما تمثل أم كلثوم عند الناصريين . هى أهم بمراحل من عبلة كامل وأسامة أنور عكاشة ، والسخرية منها كفر صريح بالمقدسات . فى رأيهم هى الذراع الأيمن للدعاوى ناصر العربية ، وهى النصر الوحيد الذى تجسدت فيه تلك الدعوة الشوفينية المهمجية بينما منيت بالخرى والعار فى كل ساحات المعارك الأخرى . كثيرون لا يرون صوتها الأجرى جميلا ، وكثيرون (بمن فيهم وفرة من اليسارين كيوسف إدريس مثلا) يرونها سقيمة ومملة . طبعا هى ليست بجمال صوت أسمهان ولا فيروز ، لكن حتى لو كانت أجمل أو أقوى فما الفائدة وقد وظفت لتكريس التخلف والبداءة وموسيقى الطرب وتنويم السلطان مع إيقاظ شهوته ، موسيقى ربيع النعمة الوضيعة البائدة ، المسماة الموسيقى العربية ، بينما ما كان يجب لها إلا أن تنقرض وتلاشى وتحل محلها موسيقات أكثر حداثة . الناصريون لا يقولون هذا طبعا ، وقد مست سخرية اللبى منها وترا هائل الحساسية فيهم !



The Movie Ends with A-Lemby's Son Learning English!

لو خرجنا من الشخصية قليلا لن تجد الأوضاع أقل سوءا .
بينما أولئك المثقفون العرب غارقون جميعا في أجنحة المروق
ومعاداة العالم المتقدم صهيونيا إمبرياليا استعماريا جلوبيا ، أو
أيا ما كان ، فإن حبيبة البطل هي العكس لكل ما يبشرون به ،
من ماضوية وانغلاق وپارانويا ومواجهة ' للغزو الثقافي ' . هي
فتاة تعاني من قمع والدها الانتهازي الجشع الذى يريد تزويجها
من مدرس ثرى . والفيلم اختار لهذا الأب غطاء رأس ياسر
عرفات الشهير ، رمزا لجيل القهر والهزيمة والارتزاق ، ربما في
أول استخدام سلبى لهذه الأيقونة المقدسة عربيا وإسلاميا
وشيوعيا ، والتي لم يكسر جلالها سوى مرة واحدة في
كاريكاتورات مصطفى حسين أيام أنور السادات ، ولم يكسر
في وسيط فائق الجماهيرية كالسينما أبدا . هي الوحيدة ذات
الاسم المصرى نوسة ، وتصفها أغنية في ألبوم الموسيقى بالفتاة
الشعبية المتعلمة الساعية للارتقاء بنفسها إلى آخر الأوصاف التي
افتقدناها منذ زهرة ميرامار . نوسة هذه تصالح بطلها وتزوجه
رغم مشاهدتها له في ليلة حمراء ، ذلك أن الحب أقوى . ويا لها
من معاني تحررية طال افتقادنا لها منذ سينما أوائل السبعينيات .

وأخيرا تماما ثم احتتام بإحالة أجنبية أخرى لا ترضى مثقفينا كثيرا ، ذلك بعد خمس سنوات من زواج من الواضح
أنه سعيد ، وابن ألبني يتعلم الحروف الإنجليزية (لغة المستعمر) عن أبيه ، هذا الذى يبدو الآن أكثر استعدادا
لتجاوز ماضيه الجاهل الوضع ، فلا تنسى أن الصورة المحورية كما عبرت عنها الدراما وتطور الشخصيات ، وأيضا
كل كلمات الأغاني تحررية المعاني ، هو الرغبة في الارتقاء وحب التحضر والمتحضرين ، والحب كان فقط الدافع
الذى حرك عند اللبى هذه الرغبة (المشكلة الوحيدة أن ذلك التغيير قتل لللبى ، ومن ثم لا يفتح مجالا كبيرا لللبى
٢ ، لكن يظل كل شيء ممكنا مع كاتب بموهبة وخيال أحمد عبد الله) .

إجمالا : إن ما نراه في حارة اللبى هو نوع من الجلوبية التصالحية الجميلة التي تستخف جذريا بكل ما يقوله ليلا
ونهارا مثقفو وساسة العالم الثالث الفاشلين عن مقاومة الجلوبية والغزو الثقافي .. إلخ . اللبى بكل وضاعة حالة لا
يعدم أيا من الصفات المميزة للجنرال الإنجليزي العظيم إدموند ألبني ، وحسب الناظر صلاح الدين الناس هم الذين
أطلقوا عليه هذا ، وهذه حقيقة واقعة حتى اليوم في حوارينا من إطلاق أسماء المشاهير الأجانب على المميزين من
عموم الشعب ، والأغرب أن بعضهم يصبح مشهورا كلاعبى الكرة مثلا ويظل يحمل الاسم الأجنبى ! والكل يفعل
هذا بحب وإعجاب ، ولا يفكر في الغزو الثقافى أو الدين إلى آخر ما تعج به الصحافة . أمه الفهلوية البخيلة السليطة
لكن الفطرية معا ، لا تعدم صفات فرنسا ، التي يرى فيها المثقفون عندنا على الأقل (وإن كنا لسنا منهم) رمزا

للجمال والثقافة والفن ، وتاريخيا إسلاميو حتى مصر القديمة -أو المتعصبين الدهماء حسب الجبرتي- هم الذين طردوها من مصر . باخ الأشعث رغم كل إحباطاته وفقره والتخلف الهائل المحيط به ، لا يزال يعزف الموسيقى الكلاسيكية بحب ، ويكفينا المشهد الكوميدي الذى يحاول بغيبظ أن يخرق فيه بعضا الكمان أذن اللبى الفاسدة . نوسة -أو مصر إذا ما جاز اعتبارها رمزا- حبيسة لقيود الفقر الاجتماعى والتزمت الأخلاقى معا ، لكن روح الحياة لم تمت فيها أبدا . وفى مشهد طريف وصريح تخبر خطيبها أنها هى أيضا عندها شهوة جنسية ، فما كان منه إلا أن تعجب بمرح حيث كان يعتقد أنها خاصة أو حق للرجال فقط ، أو هذا ما أفهمه إياه المجتمع الذكورى . والمهم طبعاً أن كل تلك القيم التحررية ، وتحديدًا الثلاثة أجناب الأسماء ، هم من كافحوا كى يتحقق حلم الحب لديها ، هذا بنفس القدر الذى لعبت إرادة الحياة عندها ووقفها الصارمة أمام أبيها الدور الفصل عندما جاءت اللحظة الحاسمة .

أحمد عبد الله ليس أسامة أنور عكاشة ، الذى يكره من هم أرقى منه حضاريا ويشكك فى نواياهم ويجزم بأنهم يتآمرون على الشعب المصرى (بالذات !) أسوأ المؤامرات . ولعل هذا قد يغرينا بأن ننمى نظرية فحواها أن من يؤلف الأفلام المصرية اثنان لا ثالث لهما : أحمد عبد الله وأسامة أنور عكاشة . مدرسة تقول نحن متخلفون حتى آخر تعريف ممكن عرفته البشرية للكلمة ، وإنه لا خروج من التخلف إلا بالتعلم ممن هم أفضل منا وحبهم واحترامهم والاستماع إليهم . ومدرسة تقول إننا كنز الأرض وفردوسها المفقود ، وكل العالم يتهافت على نهبنا و' استهدافنا ' والتآمر علينا . وبينما لا يوجد بعد تلاميذ كثيرون للأول ، فتلاميذ الثانى لا نهاية لهم ، وليسوا فقط من جيله المهزوم ، بل تمت تربية أجيال جديدة ' انتفاضية ' وافرة . فقط -ومع الاقتصار على أفلام هذا الصيف- تأمل حجم البارانونيا التى يحفل بها فيلم ' هو فى إيه ' (الشركات العالمية عصابات غامضة تصحو وتنام تحلم بنهب خيرات مصر الوفيرة جدا !) ، أو فيلم ' مافيا ' (الذى يهبط لدرجة أن يساير الفكرة السوقية جدا أن الموساد وراء كل شىء بما فيه المنظمات الإرهابية بكافة مشاربها !) ، أو فيلم هنىدى الجديد ' صاحب صاحبه ' (كارثته مزدوجة كما سنرى) ، أو تأمل حجم الأبوية التى يورث بها جيل الهزيمة أفكاره المقدسة للأجيال الجديدة ، بينما اللبى لا يصرخ صرخته المكبوتة الشهيرة ' أنا اتخنقت ' قدر ما يصرخ بها لأمه ، بل ولأبيه رغم أن هذا الأخير ميت . وهى صورة بصرية رائعة لأنها ذات الوقت موجعة جدا لمن يفهم ، لجيل يعانى من محاولة فرض الجيل السابق لأجندته عليه من القبر ، بل الواقع كلمة ' اتخنقت ' هى بالضبط أدق لسان حال لكل حالم ونصير للحضارة فى مصر بل وكل العالمين العربى والإسلامى ، اختنق بما يحيط به من تخلف وغيثاء . أيضا من المثير للفضول أن كاتب فيلم هنىدى هذه المرة ، هو ماهر عواد وهو من رموز مدرسة الأفلام ' الفنية جدا ' التى قتلت زوجته سعاد حسنى وحاولت قتل شريف عرفة ومئات غيرهما . وطبعاً عواد وشركاه هم فى صدارة من وسموا كل نجوم الكوميديا الجدد وعلى رأسهم هنىدى بالطبع ، بالهبوط والسوقية والانحطاط الفكرى . هل تريد دليلاً أكثر على انتهازية الشيوعيين وسائر المثقفين أكثر من هذا ؟ أم لعلهم اكتشفوا متأخراً ما قلناه منذ سنوات فى صدر الدراسة الرئيسة أعلاه ، من أن هنىدى وعكاشة وجهان لعملة واحدة ؟ أم لعلنا قصدنا أن عكاشة هو الكاتب المثالى لهنىدى ، وهنىدى هو الممثل المثالى لعكاشة ؟ وما فعله عواد هو خطوة نحو لقاء لا شك أنه كان يستعصى على خيال الجميع حين كتبنا ما كتبنا (طبعاً لا أشك أنهم

سوف يسمونه ' لقاء العمالقة ' ، وهو بالأحرى لقاء الأقزام ليس فقط لقصر قامتيهما ، إنما باعتبار أن عواد مجرد بشير ، ومما يجب دوما التبشير به أن بأن الأقزام قادمون .

ما أردنا قوله إن أحمد عبد الله هنا ، تمكن من التوصل للمعادلات التي ربما بدت لوهلة مستحيلة ، لقلب الحكى النمطى القديم له . وهو دخول ولى الدين ابن العز لدنيا الدهماء فى عبود وصلاح الدين وابن عز (تمادى فى هذا الأخير فى ازدراء الطبقات الدنيا فعوقب بقسوة فى شبك التذاكر) . الآن أصبح دخول اللبى للعوالم العليا ينقل نفس المعانى تقريبا من رفض التخلف ، وهذا خبر سعيد جدا بالنسبة لنا ، لأنه سيفتح آفاق أعمال كثيرة لأحمد عبد الله ، تخرجه من قالب عبود على الحدود .

اللبى من قاع المجتمع لكن لديه من الذكاء وانبساط الشخصية ما يجعله يفهم بسرعة كيف تسير الأمور فى فنادق شرم الشيخ أو فى منزل الراقصة التونسية (ولاحظ أنه كما أن عبد الله ليس عكاشة ، فإن سعد بدوره ليس هنيدي) . وهو يتأقلم كل مرة مع وظيفته بسرعة وبمرح ، إلى أن يطرد منها لأسباب تخرج عن إرادته (تحديدا الحكومة ، هذه التي يبدو أنها تقف بالمرصاد لحرية التجارة وحرية الفرد معا أو كل على حدة . وحتى لو هذه تلفيةقة ما من الفيلم إلا أنها أدت الغرض جيدا !) . إن ذلك العالم الفوقى للأثرياء غير مدان ، وهذه العادة دائما عند أحمد عبد الله ، ذلك إلى العكس بالضبط عند هنيدي وعكاشة . ومثلا الغناء الغربى إما أن ينطلق فى الناظر صلاح الدين (أو أمير الظلام الذى سنتحدث عنه للتو من مدرسة تقدمية أخرى عريقة هى عادل إمام) ، وأشباههما ، بهدف المتعة ولأنها موسيقى جميلة ولأنها تتيح لنا رؤية حسناوات يرقصن عليها ، وإما أن تصاحب هذه الأغاني فى ' هو فى إيه ؟ ' وكل المدرسة العكاشية ، عرضا للأزياء هو ستار للصوف الأجانب الذين ينهبون البلد .

المشكلة -والأمر يستوى فى قالب حكى ولى الدين ابن العز أو قالب حكى سعد ابن الحضيض ، حيث كلاهما يعرف ما هو التقدم ويقف فى صفه- المشكلة كما قلنا فى الهوة بين الكلام والواقع . هنا ينتهى دور الأفلام وتعتبر أدت رسالتها على أكمل وجه ، ويبدأ دور المشاهد الذى عليه أن يفهم من الصورة الإجمالية التي قدمتها ، الفارق بين أن نقول بديماجوجية أننا لسنا ضد العلم ولا التقنية ولا البيزنس ولا التحرر الاجتماعى ، وبين أن كل خلية فينا ترفض هذا بحسم . وأن يدرك أن كل خطابنا الإعلامى والثقافى المعادى لأميركا وإسرائيل أو أيا ما كانت رموز التقدم ، يعادل بالضبط أن نقول ' وقف الخلق ' ، بينما لا نقوى أنفسنا على الوقوف على ساقينا ، أو لا تقوى ذاكرتنا حتى على تذكر بقية العبارة ! وعلى ذكر المؤلف هنا ، من نافلة القول أنه لا يجب بالضرورة أن يكون قد ' نظر ' لكل شىء حرفيا كما نفعل نحن هنا ، فالإبداع ، بالذات الكوميدي منه ، لا يخضع لتنظيرات مسبقة ، وكثير منه يأتى عفوا اللحظة ويفرض نفسه . لكن فى النهاية ها هى إليك حالة كيف يشتغل عقل تحررى مستتير عندما يبدع ، وكيف تتسلل أشياء رائعة إلى أدنى التفاصيل ربما دون تعمد منه . فقط من عقله الباطن إلى الورق مباشرة .

نعم ، أفلام قليلة للغاية (وطبعنا نكت قليلة أيضا !) تلك التي أمسكت بما يمكن تسميته المسألة المصرية . نذكر منها ' للحب قصة أخيرة ' ، و ' النوم فى العسل ' . المسألة المصرية : مسألة التخلف ، مسألة تكلس نمط الحياة لسبعة آلاف سنة ، ومن ثم اللواذ بالخرافة وغياب الاستعداد للمصالحة مع حقائق العصر ، والتمنع فى التواضع

والحب نحو الغير المتقدم ، وفي المحصلة النهائية الكسل والعجز والهزيمة المطلقة جميعا . ' اللبى ' (مثله مثل ' خللى بالك من زوزو ' اللذان يشتركان معا في بساطة الظاهر) واحد من هذه الأفلام .

هذا من حيث محتواه التقدمى الراقى ، أما ككل من حيث القيمة الكلية أى المحتوى والإمتاع الفنى معا ، فهو بلا شك (مثل ' زوزو ' أيضا) واحد من أفضل الأفلام المصرية إطلاقا منذ رحيل عز الدين ذو الفقار (ومثل ' زوزو ' أيضا ليس غريبا أن استحق أن يصبح فى حينه ' أنجح فيلم فى تاريخ السينما المصرية ' . وعامة لا يرقى للقب أحسن فيلم منذ رحيل عز الدين ذو الفقار سوى حفنة أفلام محدودة جدا جمعت كل الفضائل معا جماهيرية وفنا ورؤية وفكرا ، ولعل أبرزها جميعا ' ضربة شمس ' لمحمد خان) .

لكل هذه الأسباب وتلك مجتمعة ، كان ' اللبى ' أحد أخطر التهديدات التى تعرضت لها ' المؤسسة ' فى الحقبة الأخيرة . وبهجومه الساحق المفاجئ وغير المتوقع عليهم فى عقرب دارهم ، فضح عطونتهم وشعر المثقفون بأن الأرض قهنتز تحت أقدامهم ، وهم الذين طالما تحصنوا بعش الدبابير والعناكب والصراصير المسمى بالثوابت ، فما بالك إذا كان الهجوم بكشاف ضوء قدرته ٢٥ مليون جنيه مصرى !

...

وبعد ، وبمناسبة الموقف المخجل للغاية للنقاد من الأفلام الناجحة عامة ومن اللبى بالذات الذى واجهه هجمة شرسة مذبذبة ، ما كان من محمد سعد إلا أن سفهها بطريقة طريفة وذكية حقا ، عندما قال إنه استقى الخط الدرامى من أرسطو . ولعل الأمر بالفعل يحتاج لمراجعة بعض الأساسيات القديمة ، ومنها مصادر الدهشة فى الأفلام ولن نذكرهم بما يحكونه دوما عن فيلم القطار الصامت الذى فر منه جمهور المشاهدين ، أو عن ' كاراكتير ' شارلى شاپلين أو ' الطفلة المعجزة ' شيرلى تيمبل ، أو أى ' معجزة ' أخرى ألهبت انفعالات الجمهور . هذه الدهشة هى ما تعنيه السينما بالنسبة للناس ، وهى ما يدفعون من أجله النقود ، والقانون التجارى يعطى الحق لمن يدفع النقود فى أن يختار السلعة التى يشاءها .

من هنا قد يطول الكلام ويكفيينا فيه إيجازا تكرر ما كتبناه أعلاه على هامش الدراسة الرئيسة لهذه الصفحة عن آليات الفن الجماهيرى : ' الناقد يجلس فى قاعة العرض ليكتب ما شعر به تجاه الفيلم . هذه ليست وظيفته . وظيفته أن يكتب مشاعر المشاهد فى المقعد المجاور . مشكلة النقاد أنهم يفترضون أن الأفلام تصنع لتعزية هواجسهم هم الذهنية ، بينما الحقيقة أنها تصنع من أجل الناس . فقط دور الناقد التأكد من أنها تناسب المستوى العقلى والوجدانى لهذا العموم من الناس ' .

نضيف سؤالا جديدا هذه المرة تطرحه هذه الأفلام التى تتكلم عنها اليوم : لماذا يقبل النقاد من الرسم والباليه والموسيقى أن تكون فنونا تعبيرية ، يحتل المحتوى فيها مكانا ثانويا أو خفيا أو لا وجود له بالمرّة ، ويستنكرون ذات الشيء على السينما ؟

أو بلاش ، إليكم هذا السؤال الأسهل : أى شىء تغزلتم فيه فى أفلام من تسموهم بالمهمشين ممن صنعها المتمتعون بخاتم الحصانة الأيديولوجى (' ليه يا بنفسج ' مثلا ، حيث الغزل فيه كثير جدا سواء محليا أو من

الأهمية الشيوعية العالمية المسماة بمهرجانات السينما) ، وليس موجودا في ' اللمبي ' بشكل أرقى وأمتع بل وأكثر فلسفية وتأملا ؟

بلاش دى كمان . سأذكركم بكلمة أخرى أسهل وأسهل من الدراسة الرئيسة إياها : سينما الكوميديا إالى موش عاجباكم دى ، هى البداية لتأسيس السينما كصناعة لأول مرة فى مصر ، دى إالى كانت طول عمرها سينما هواة (حاشا للسيليلويد لم أقصدكم أنتم إنما قصدت عز الدين ذو الفقار وكمال الشيخ وبركات وصلاح أبو سيف ، وارجعوا للكلام) . عارف بأفكركم بيها ليه ؟ علشان أقول لكم موتوا بغيظكم ! السينما المصرية تجاوزت الآن كل هذا وكل السجلات القياسية : إنها اليوم سينما عريقة تضرب بجذورها فى أعماق تاريخ ، عمرها تجاوز الآن الست سنوات !

[تحديث : ٧ سبتمبر ٢٠٠٢ : مؤخرًا انبرت بعض الأصوات للدفاع عن ' اللمبي ' . بعضهم من الصناعة نفسها ، وبعضهم من الكتاب . السبب هو الملاحقة الرقابية المستفزة لمنع تصدير الفيلم ، وحتى لشريط الموسيقى . للأسف لم نسعد قط بأى من هذا الدفاع . الكل يؤكد على شىء واحد : اللمبي شخصية سلبية ، والفيلم يدينها ! ما هذا الهراء ، باستثناء ' زد ' وأيامه ، لم يحدث قط أدان فيلم شىءًا ونجح . هذا كل ما عندى لأقوله !] .

[تحديث : ١٥ سبتمبر ٢٠٠٢ : اليوم تحدث محمد هلال صاحب كلمات أغاني اللمبي فى جريدة اسمها التجمع . الكلام جاء صدى لما قاله بالأمس مؤلف موسيقى عصام كاريكا فى ملحق التليفزيون مع مجلة الأهرام العربى ، وإن تركز معظمه على أغنيتها معا ' شنكوتى ' . عصام كاريكا تحدث أكثر عن اللمبي . قال صراحة أنه أراد السخرية من أم كلثوم ، وأن أغنيتها ' ردح ' فعلا ! واعترف بذات المعنى الذى توقعناه عاليه أنه لم يفعل سوى أن نقلها عن أحد الأفراح الفلكلورية . أيضا أفاد فى موضوعات شتى منها قوله مثلا إن محاكاة الغرب مطلوبة ، وبدونها لن نصل بفنوننا لمستوى العالمية ، وأن مسألة ما يسمونه الفن الهابط كلها حقد فى غيظ من أعداء النجاح . الشجاعة عملة نادرة هذه الأيام ، من ثم كل التحية لكاريكا ، وإن كنت لا أفهم جدا معنى هذا الاسم ، ولا بأس ، ففى الفن الجماهيرى ليس مطلوبا أن تفهم كل شىء !] .